تـمّ تحميل هذا الملفّ من مكتبة الأديب الرّاحل رمضان لاوند | جميع الحقوق محفوظة © www.RamadanLawand.com

الإسلام عند غير المسلمين

الحلقة (24)

باسم الله أبدأ ..

وفي ظل المصطفى عليه الصلاة والسلام يكون الحديث ..

وبهدي من الإسلام يمضي الفكر يلتمس التوفيق ..

أيها الأخوة في العروبة ..

لا شك أنه سيكون غريباً على الأسماع أن أقدم لكم في لقاء اليوم ثلاث سيدات مستشرقات، ذلك أن تاريخ المستشرقين بأعدادهم الكثيرة وعبر أكثر من ألف سنة قد التصق بأذهان العرب برجال ذوي لحى بيضاء بين علماء صادقين أفقدهم البحث بين المخطوطات حدة البصر، وبين رجال مفتولي العضلات ينتمون في الأصل إلى الجيوش الأوروبية التي كانت تسعى لتوطيد الوجود الأجنبي في بلاد المسلمين ..

لذلك كان وجود سيدات في عالم المستشرقين أمر من قبيل الأمر الشاذ والندرة الفريدة .

وتعد ايطاليا أكثر بلاد أوروبا حتى الآن في تقديم المستشرقات تليها انجلترا وتأتي بعدها ألمانيا .

ويعرف تاريخ الاستشراق في ايطاليا سبعة عشر سيدة فقط وسط أكثر من ألف وسبعمائة مستشرق .

وقد اخترت لكم ثلاث مستشرقات ايطاليات ويرجع سبب الاختيار إلى أهمية بعض ما تعرضن له مما يخدم هدف هذا اللقاء اليومي عن الإسلام عند غير المسلمين .

أيها الأخوة .....

نبدأ لقاءنا بالمستشرقة ماريا نالينو المولودة عام 1908.

إنها ابنة المستشرق الايطالي الكبير كارلو نالينو أستاذ التاريخ والدراسات الإسلامية بجامعة روما والمتوفي عام 1938.

ونالينو واحد من أكبر المستشرقين الايطاليين المحدثين الذين يعود إليهم الفضل في عرض الإسلام والحضارة الإسلامية وأثرها على أوروبا عرضاً علمياً حديثاً صحح به الكثير من الأفكار والمواقف المتعصبة ضد الإسلام والمسلمين .

ففي عام 1893 نشرت له جامعة ليبزيج الألمانية بحثه في القرآن، وفي عام 1911 دوّن تاريخ علم الفلك عند العرب وأثره على أوروبا في القرون الوسطى، وفي عام 1906 أثبت الوجود العربي في جنوبي ايطاليا بدراسة تاريخية علمية أثرية دقيقة ، وفي عام 1933 أصدرت له جامعة روما بحثه الخالد عن علاقة العالم الإسلامي بأوروبا، وبعد وفاته بأعوام نشرت له ابنته المستشرقة ماريا نالينو بحثاً قيماً عن حياة الرسول عليه الصلاة والسلام. وغير هذه المؤلفات كثير وضعه نالينو على امتداد حياته منصفاً العرب والعلماء المسلمين بما لم يأته قبله أو بعده مستشرق ايطالي .

في هذه البيئة العلمية .. وتحت رعاية هذا الأب المستشرق نشأت ابنته ماريا نالينو ونمت كعالمة في الدراسات الإسلامية واحتلت مكانة مرموقة في دنيا الاستشراق وكان أن اختيرت عام 1956 عضواً مراسلاً للمجمع اللغوي العربي في مصر .

ولعل أهم أبحاثها ما نشرته عام 1933 عن الدراسات العربية في أسبانيا وما حققته عام 1946 من وثائق عربية عن جنوا وما أصدرته عام 1950 عن الإسلام والأقليات الدينية .

وهنا .. نود أن ننقل فقرة قصيرة من عرضها للوثائق العربية عن جنوا دلالة على مدى ما قدمه العرب لأوروبا في العصور الوسطى من أساس حضاري كان الملهم والسبب فيما أحرزته أوروبا بعد العرب من تفوق وتقدم واكتساح .

قالت المستشرقة الايطالية ماريا نالينو :

" إن سنة النشوء والارتقاء تفرض تطوير الحياة وكان البحث الإسلامي في مختلف مجالات العلوم مؤمناً بحقيقة الديانة الإسلامية التي تدعو الناس إلى التفكر في ملكوت الله. فالإسلام دين يحض على العلم والإيجابية والسعي دائماً وراء الحقيقة كما كان نبيّه يقول لأنصاره: اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد " .

هذه أيها الأخوة لقطة سريعة للمستشرقة الأولى في لقاء اليوم .

أما المستشرقة الثانية .. فاسمها فرجينيا فاكا وقد أصدرت حتى الآن خمسة وعشرين بحثاً عن العرب والمسلمين لعل أهمها جميعاً أربعة أبحاث اثنان منهما عن فلسطين واليهود وبحث عن آيات القرآن وبحث رابع عن المظهر السياسي والاجتماعي للصوفي المسلم .

تقول في بحثها عن فلسطين : إن اليهود لم يجدوا في أي مكان ذهبوا إليه عقيدة أسمح من الإسلام ولا قلوباً أرحم من المسلمين، وإن تاريخ فلسطين يؤكد أن سكانها الأصليين ليسوا بني إسرائيل وإن كان الوجود اليهودي فوق أراضيها لم يتجاوز عشرات من السنين بينما الوجود العربي بقبائله وشعوبه سابق على اليهود ومشارك لهم ثم مستمر بعدهم إلى يومنا هذا ، وأن قضية فلسطين قضية سياسية عنصرية أكثر منها دينية تاريخية .

أيها الأخوة في العروبة ..

يبقى لنا اليوم لقاؤنا مع واحدة من كبيرات المستشرقات الأستاذة الباحثة الايطالية لورا فيشيا فالييري .

إن لها حتى الآن نحو سبعين بحثاً في التاريخ الإسلامي وأهم هذه البحوث ما نشرته عام 1930 باسم وثيقة من الفاتيكان عن الجزائر، وما أصدرته عام 1919 عن الأمانة في عمان، وما ألفته عام 1932 عن حقيقة الخلاف بين علي ومعاوية وتمرد الخوارج .

وتعد أبحاث المستشرقة الايطالية لورا فيشيا فالييري عن الإسلام وخاصة في كتابيها "الإسلام" المنشور بنابلي عام 1946 و"دفاع عن الإسلام" الصادر بروما عام 1952 أرق وأصدق دفاع عن الرسالة الإسلامية .

" إن غالبية الأبحاث الغربية عن الإسلام لم تتوافر بها الغيرة الصادقة والأمانة العلمية .. من هنا جاءت معلومات غير المسلمين عن الإسلام معلومات خاطئة تعرف أصوله ولا تقدر عظمته ولا تلم بما يدعو إليه من حق وخير ولا تدرك ما فيه من عوامل التقدم والتطور " ..

وقالت أيضاً المستشرقة الايطالية لورا فيشيا فالييري في تحليلها لقدرة الإسلام على خلق الحياة الإنسانية من جديد :

" إن الإسلام خلق بشراً من طراز رفيع أقاموا أكبر الدول المتحضرة في زمن كان العالم فيه متخلفاً باعثاً في نفوس المهتدين به حيوية خارقة صمدت لضروب الإغواء والقهر مؤكداً معنى الحرية الذي افتقدته عقائد كثيرة ، فالإسلام أنّب

أنصاره الذين لا يعرفون من الكتب المقدسة إلا أسماءها مطالباً إياهم بالمعرفة والتفكر في كل ما يعرض من حقائق الكون ..."

هذا قليل من كثير تحدثت به عن الإسلام المستشرقة الايطالية لورا فيشيا فالييري. ولعل خير ما نختم به لقاءنا اليوم مع المستشرقات الايطاليات الثلاث قولها الحكيم :

" ولو عاد المسلمون مرة ثانية إلى الارتواء من القرآن .. منهل دينهم العذب الصافي .. كما فعل أجدادهم الأولون فإنهم ولا شك سيعودون كما كانوا روادا للحضارة البشرية " ..

والله الموفق .. الله المعين ..